

صناعة الفخار والخزف بتلمسان الإسلامية إلى نهاية القرن 18م
Pottery and Ceramics Industry in The Islamic Tlemcen
until the End of the 18th Century

عبد الفتاح بن جدو*، جامعة زيان عاشور-الجلفة

benjeddou2511@gmail.com

تاريخ النشر 30 جوان 2024

تاريخ القبول: 18/ 05/ 2024

تاريخ الاستلام: 12/ 04/ 2024

ملخص:

سنحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء قليلا على صناعة الفخار والخزف بإقليم تلمسان في التاريخ الوسيط والحديث ، وقد بدأنا بالحديث أولا عن مدينة تلمسان ومكانتها تاريخيا خاصة في الفترات الإسلامية ، ثم انتقلنا للحديث عن الحرف والصناعات التقليدية بها ، وقد كانت كثيرة ومتنوعة ، وقد بلغ بعضها درجة عالية من الجودة والإتقان بحيث اكتسبت سمعة عالمية وصارت منتجاتها تصدر لعدة بلدان أخرى عربية وأوربية وإفريقية مثل الصناعات النسيجية ، ثم نمرّ بعدها للحديث عن صناعة الفخار والخزف بتلمسان وإقليمها ، وهنا يمكننا تمييز مجموعتين هامتين من المنتجات تندرج تحتها عدة أنواع مختلفة ، المجموعة الأولى هي الفخاريات والخزفيات المستعملة في مجال العمارة كالأجر والقرميد والزليج ، والمجموعة الثانية هي الأواني المنزلية بمختلف أنواعها .

الكلمات المفتاحية : صناعة ، حرف ، فخار ، خزف ، تلمسان .

Abstract:

In this study, we will try to shed some light on the pottery industry in the region of Tlemcen throughout the medieval and modern history. We will start by discussing the city of Tlemcen and its significance during the Islamic periods, then move on to talk about the handicrafts and traditional industries within it, which were numerous and diverse. Some reached a high level of quality and mastery, gaining a worldwide reputation with their products exported to several Arab, European, and African countries, akin to textile industries. Then, we will proceed to discuss the pottery and ceramics industry in Tlemcen and its region, where we can distinguish two main groups of products encompassing various types. The first group includes pottery and ceramics used in architecture, such as bricks, tiles, and mosaic. The second group consists of household utensils of different kinds.

Keywords: industry, handicrafts, pottery, ceramics, Tlemcen.

مقدمة:

تعد تلمسان تاريخيا إحدى أشهر مدن وحواضر المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا ، وقد ظلت منذ الفتح الإسلامي وطيلة فترة التاريخ الوسيط محتفظة بهذه الشهرة والمكانة الهامة المرموقة ، بدليل أنها كانت عاصمة لبعض الكيانات السياسية والدول والإمارات التي قامت بالمنطقة مثل إمارة الزيانيين ، لكن المدينة فقدت قليلا من أهميتها السياسية في التاريخ الحديث بعد وصول العثمانيين للجزائر في القرن 16 ، واتخاذهم مدينة الجزائر عاصمة لحكمهم ، لكنها ظلت مع ذلك مركزا هاما من مراكز الصناعات الحرفية والتقليدية كصناعة الأقمشة والصناعات النسيجية ، والصناعات الجلدية بمختلف أنواعها ، كما ظلت مركزا تجاريا نشطا في الغرب الجزائري .

ومن بين الصناعات الحرفية التي عرفت نشاطا كبيرا في تلمسان صناعة الفخار والخزف ، وهذا ما تؤكدته مختلف المصادر التاريخية ، كما تشهد عليه الآثار الإسلامية الباقية إلى يومنا هذا بكل من تلمسان والمنصورة وندرومة وغيرها من المدن التابعة لها إقليميا .

ومن خلال هذا الطرح السريع فإن إشكالية بحثنا تتمحور كالاتي : كيف كانت صناعة الفخار والخزف بتلمسان في الوسيط والحديث ؟ هل كانت صناعة هامة واستراتيجية أم مجرد صناعة تقليدية ضعيفة ؟ ما هي أهم أنواع المنتجات التي كانت تُصنَّع في هذا المجال ؟ وهل كان إنتاجها موجها للأسواق المحلية فقط أم يوجه لأسواق أخرى خارجية ؟ وعموما فإننا سنلجأ إلى المنهج التاريخي للحديث قليلا عن مدينة تلمسان عبر العصور وفي التاريخ الإسلامي تحديدا ، ونظرا لطبيعة الدراسة فإننا سنستخدم المنهج الوصفي بإسهاب في أغلب مراحل الدراسة ، كما سنستخدم المنهج التحليلي أيضا خاصة في الخاتمة لاستخلاص أهم نتائج البحث .

1. مدينة تلمسان الإسلامية :

قبل الحديث عن الحرف والصناعات التقليدية وصناعة الفخار والخزف بتلمسان لا بأس بإطالة وجيزة على تاريخ هذه المدينة خاصة في الفترات الإسلامية ، وعن تنظيم الحرف والصناعات فيها .

إن هذه المدينة موعلة في القدم كما يصفها الإدريسي ويؤكد به بقوله : " وتلمسان أزلية.... " (الإدريسي، 1863، صفحة 80) ويقول حسن الوزان أن التاريخ لم يذكر مؤسسها الأول (الوزان، 1983، صفحة 17)، لكن ابن خلدون يقول أن بني يفرن¹ هم من اختطوا هذه المدينة لما كانت في مواطنهم (ابن خلدون، 2001، صفحة 102).

لقد كانت المدينة تسمى في عهد الرومان باسم " Pomaria - بوماريا " ، ولم يعثر في كتب التاريخ على أقدم من هذا الاسم ، لكن هذا لا يعني أن الرومان هم مؤسسو مدينة تلمسان قطعيا ، بل الغالب أن المدينة كانت موجودة قبل مجيئهم لأن موقعها الجغرافي المميز من شأنه أن يجعل منها أرض آهلة بالسكان منذ القدم ، ولعل اسم بوماريا لم يكن إلا ترجمة للاسم البربري القديم (الطمار، 1984، صفحة 08) أو تحريفا له .

¹ بنو يفرن : بطن من بطون قبيلة زناته البربرية .

أما في العهود الإسلامية فقد كانت المدينة مؤلفة من مدينتين متجاورتين لكل منهما سور تفصل بينهما رمية حجر (الحموي، 1977، صفحة 43)، واحدة قديمة هي أغادير والتي كانت تسمى بوماريا خلال العهد الروماني يقيم بها الرعية والأهالي ، وأخرى حديثة هي تاغرارت التي بناها المرابطون يتزل بها الأمير وحاشيته فضلا عن باقي الرعية (الحموي، 1977، صفحة 43) .

وتلمسان وما حولها إقليم فسيح من أوفر أقاليم المغرب بالخيرات ووسائل الرخاء ، فهي منطقة سهول وهضاب كثيرة الوديان ووفرة الأمطار في الشتاء (ابن الأحمر، 2001، صفحة 10) ، وقد كانت هذه المدينة من أعظم وأشهر مدن المغرب الأوسط كما يصفها اليعقوبي الذي زار المنطقة في النصف الثاني من القرن 3 هـ / 9 م وقال : " ... ثم إلى المدينة العظمى المشهورة بالمغرب التي يقال لها تلمسان ، وعليها سور حجارة وخلفه سور آخر حجارة ، وبها خلق عظيم ، وقصور ومنازل مشيدة " (اليعقوبي، د.ت، صفحة 196) ، ويبدو أن هذه المكانة المرموقة التي كانت تحتلها المدينة ظلت تتزايد شيئا فشيئا من الفتح الإسلامي إلى أن بلغت ذروتها خلال العهد الزياني حيث صارت عاصمة المغرب الأوسط كما يصفها ابن خلدون بقوله : " ولم يزل عمران تلمسان يتزايد ، وخطتها تتسع الصروح بها ، بالآجر والقرميد تعلو وتشاد إلى أن نزلها آل زيان واتخذوها دار ملكهم وكرسيا لسلطانهم فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة ، واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه فأصبحت أعظم أمصار المغرب " (ابن خلدون، 2001، صفحة 102)، وقد توسعت المدينة في أيام بني عبد الواد حتى أصبح فيها ستة عشر ألف كانون¹ على عهد الملك أبي تاشفين وبلغت حقا درجة عالية من الازدهار (الوزان، 1983، صفحة 17) .

ومع بداية القرن 16 م واحتلال الإسبان لمدينة وهران ومرساها الكبير فقدت مدينة تلمسان كثيرا من سمعتها وقيمتها ، فقد أدى احتلال الميناء إلى تدهور اقتصادي كبير ، كما أن الصراع بين العثمانيين والإسبان من جهة ، وبينهم وبين الزيانيين من جهة أخرى زاد الوضع سوءا ليعم التدهور جميع الميادين السياسية ، الاجتماعية والثقافية ، وفرت كثير من العائلات الثرية والعلمية والحرفية إلى المغرب الأقصى (سعد الله، 2007، صفحة 176) .

2. الحرف والصناعات التقليدية بتلمسان :

ولنتكلم الآن عن الحرف و الصناعات بتلمسان ، حيث يؤكد كثير من الكتاب والرحالة أن مستوى الصناعات الحرفية كان راقيا وإنتاجها وفيرا ، وفي هذا الصدد يقول ابن سعيد المغربي : " والأندلسيون يقولون كأنها [أي تلمسان] من مدن الأندلس لمياهها وبساتينها وكثرة صنائعها " (ابن سعيد، 1970، صفحة 140) ، ويقول ابن خلدون عنها أيضا : " فأصبحت أعظم أمصار المغرب [أي تلمسان] ورحل إليها الناس من القاصية ، ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع " (ابن خلدون، 2001، صفحة 105).

وقد بلغت بعض هذا الصناعات درجة عالية من الجودة والوفرة واكتسبت شهرة عالمية حيث صارت منتجاها تصدر إلى أماكن عديدة من الدول العربية ، الإفريقية والأوربية مثل صناعة النسيج والقماش ، التي يقول عنها ابن سعيد : " ومنها [أي تلمسان] تحمل ثياب الصوف المفضلة على جنسها المصنوع في سائر المغرب ، وتحمل منها ألجم الخيل والسروج وما يتبع ذلك ،

¹ الكانون هو موقد النار ، ويقصد به عدد المنازل .

والأندلسيون " (ابن سعيد، 1970، صفحة 140)، ويتكلم ياقوت عنها أيضا ويقول أن النساء تتخذ من الصوف أنواع من الكنايش¹ لا توجد في غيرها (الحموي، 1977، صفحة 43).

وقد كانت المحلات الصناعية والتجارية موزعة على مختلف ساحات المدينة وأزقتها، لكل حرفة أو سلعة مكانها الخاص (الوزان، 1983، صفحة 19)، إلا أن الصناعات التي كانت تحتاج إلى تدفق الماء مثل الدباغة، الحدادة والطاحونات كانت تقام على ضفاف الأنهار بعيدا عن المدينة، كما أن الصناعات التي تجلب الضرر على السكان وتلوث البيئة كانت تقام أيضا خارج أسوار المدينة (فيلاي، 2002، صفحة 220) كما هو الحال مثلا بالنسبة لورشات صناعة الفخار والخزف التي كانت توجد بالقرب من باب القرمادين وباب العقبة (Bel, 1914, p. 02).

أما عن الصناع والحرفيين فيصفهم مارمول بأنهم: "أناس بسطاء لطفاء، يعتزون بأنهم يعملون بأدب ويصنعون أشياء متقنة" (كربخال، 1989، صفحة 300)، ويضيف الوزان بأن لهم هيئة خاصة حيث يرتدون لباسا قصيرا والقليل منهم يرتدي عمامة، ويكتفون بوضع قلنسوة بدون ثنايا، ونعلا تصل حتى نصف الساق (الوزان، 1983، صفحة 21). والجدير بالذكر أن هناك بعض العائلات تميزت بصناعات معينة وتوارثوها جيلا بعد جيل، من الآباء والأجداد إلى الأبناء والأحفاد، وصاروا مشهورين بها.

ولم تقتصر الصناعات الحرفية على داخل مدينة تلمسان فحسب، بل إن الأرباض المجاورة والمدن القريبة منها كانت أيضا مزدهرة الصناعة، فيصف الوزان ربض العباد بقوله: "وهي كثيرة الازدهار وافرة السكان والصناع وأغلبهم من الصباغين" (الوزان، 1983، صفحة 22)، وقد كانت مدينة ندرومة التابعة لإقليم تلمسان من المدن المشهورة بكثرة الحرف والصناعات خاصة أقمشة القطن الذي كان ينبت فيها بكثرة (الوزان، 1983، صفحة 14)، وصناعة الفخار التي يقول شاو أنها الشيء المميز الوحيد المتبقى بهذه المدينة عندما زارها (Shaw, 1830, p. 240)، وقد كان سكان ندرومة ينتقلون بأنواع مختلفة من الأواني خاصة الجرار لبيعها في أسواق تلمسان (Daly, 1863, p. 51).

3. صناعة الفخار والخزف بتلمسان :

ولنعرج الآن للحديث عن صناعة الفخار والخزف، والحقيقة أن الحديث عن هذا الموضوع تاريخيا صعب قليلا، فالمصادر من كتب الرحالة والبلدانيين لم تدقق في الحديث عن الحرف والصناعات، وإن كان بعضها قد تكلم عن بعض المعالم العمرانية وزخارفها فإنها لم تتكلم عن صناعة الفخار والخزف بصفة خاصة (Bel, 1914, p. 01)، وكل ما ورد فيها بعض الإشارات المقتضبة إلى تطور الحرف والصناعات بصفة عامة بتلمسان، لكنها لم تتطرق إلى أنواع هذه المنتجات وطرق تصنيعها وورشات الصناعة إضافة إلى طرق تسويقها، ونذكر من هذه الإشارات مثلا ما أورده التنسي في حديثه عن عبد الرحمان أبي تاشفين² حيث قال: "وكان مولعا بتحبير الدور وتشيد القصور، مستظفرا على ذلك بالآلاف عديدة من فعلة النصارى بين نجارين وبنائين وزليجين وزواقين..." (التنسي، 2007، صفحة 140)، وكلام التنسي هنا يزودنا بتفصيل هام، وهو استخدام النصارى في أعمال

¹ الكنايش: مفردا كنبوش وهو نوع من الخمارات تستخدمه النساء لتغطية الرأس.

² عبد الرحمان أبو تاشفين الأول هو خامس الأمراء الزيانيين (718-736 هـ / 1318-1336 م).

البناء وتشبيد القصور ، وأهم كانوا متخصصين في مختلف الأنشطة المتعلقة بالبناء ، فكان منهم البنائون والنجارون والمختصون في الزليج والخزف ، والمختصون في الزخرفة والتزويق ، والأکید أن أغلب هؤلاء النصارى كانوا من الأسرى ، والأکید أيضا أن استخدامهم في أعمال البناء هذه سمح بظهور تمازج وتزاوج ما بين الطرز الفنية والزخرفية المحلية والأوربية .

ويصف الوزان منازل مدينة هنين بقوله : " ... ودورهم في غاية الجمال والزخرفة ... أرضها مبلطة بالزليج الملون وسطوح الحجرات مزينة بنفس الزليج ، والجدران كلها مكسوة بالفسيفساء الفنية " (الوزان، 1983، صفحة 15)، ويفهم من كلام الوزان هنا أن استخدام الزليج أن بكثرة ووفرة في أغلب المساكن ، كما يؤكد ذلك أيضا وصف ابن خلدون السابق " ... ونحطتها تتسع الصروح بها ، بالآجر والقرميد تعلی وتشاد " .

ويجزم ألفرد بل (Alfred Bel) من خلال ورشات صناعة الفخار والخزف التي قام باكتشافها بكل من باب القرمادين ، وبناحية أغادير أن المصنوعات الفخارية والخزفية التي كان يستخدمها السكان سواء في الأواني أو في العمارة كانت من صناعة محلية بتلمسان (Bel, 1914, p. 30) .

وعلى ضوء نتائج بعض الحفريات المنجزة بالمنطقة خاصة حفريات السيد ألفرد بل التي نشر نتائج إحداها في دراسة موجزة ، وحفريات المنصورة التي أجريت على مدى ثماني سنوات ابتداء من سنة 1986 ، بالإضافة إلى المعالم والآثار التي لا تزال قائمة بالمدينة نستطيع تحديد أهم أنواع المنتجات الفخارية والخزفية التي كانت تصنع بالمنطقة .

فمن حيث الاستخدام يمكننا تحديد مجموعتين هامتين من المنتجات تدرج تحتها عدة أنواع مختلفة ، المجموعة الأولى هي الفخاريات والخزفيات المستعملة في مجال العمارة ، والمجموعة الثانية هي الأواني المترية بمختلف أنواعها .

1.3. المجموعة الأولى : فخاريات وخزفيات البناء

بالنسبة للمجموعة الأولى فإنها تضم أنواعا متعددة من المصنوعات تتمثل أساسا في :

1.1.3. الآجر :

ويستخدم في بناء الجدران كما يستعمل في تخطيط الأرضيات أحيانا ، ويثبت باستعمال ملاط قوي مؤلف من التراب ، الجير والرماد ، تكون قطع الآجر بدون طلاء مستطيلة الشكل ويكون طولها غالبا ضعف عرضها ، وقد صنعت بأبعاد مختلفة لكن الأكثر شيوعا منها هي ذات الأبعاد 11×22 و 14×28 مع سمك موحد عادة هو 03 سم (Bel, 1914, p. 31).

2.1.3. الأنايب الفخارية :

تعد من أكثر استخدامات الفخار شيوعا ، بل إن الفخار احتكر هذا المجال لقرون طويلة ، ونجد ثلاثة أنواع منها من حيث الاستخدام : النوع الأول أنايب توصيل المياه العذبة ، والثاني أنايب تصريف المياه القدرة ، أما النوع الثالث فهو أنايب تصريف مياه الأمطار ، وقد كانت توصل هذه الأنايب بطريقتين ، تحت الأرض أو عبر الجدران ، كما كانت تتركب داخل المباني بطريقتين ، أفقيا أو عموديا ، أفقيا ولمسافات طويلة لأننايب توصيل المياه العذبة ، وعموديا ولمسافات قصيرة بالنسبة لأننايب تصريف المياه القدرة (لعرج، 2011، صفحة 217).

هذه الأنابيب عبارة عن أسطوانات فخارية تكون فتحاتها متسعة من جهة وضيقة في الجهة المقابلة بالنسبة لبدن الأسطوانة ، وتوصل مع بعضها البعض لتشكيل قنوات طويلة ، وقد تعددت أحجام هذه الأنابيب بين صغيرة وكبيرة تبعا للاستخدام ، لكن الأكثر شيوعا منها ثلاثة أنواع (لعرج، 2011، صفحة 217، 218):

النوع الأول أبعاده : $28 \times 10 \times 12$ سم (الطول $\times$ قطر القاعدة الصغرى $\times$ قطر القاعدة الكبرى) .

النوع الثاني أبعاده : $36 \times 06 \times 08$ سم .

أما النوع الثالث والأخير وهو الأكبر فأبعاده : $47 \times 15 \times 18$ سم .

3.1.3. القرميد :

وقد استخدم في تسقيف المباني وتزيين المداخل والشرفات ، وقد كان يصنع بنفس الشكل المتداول حاليا وهو عبارة عن أسطوانات مسلوقة القطر لأحد الجانبين تقطع طوليا بواسطة أداة حادة ورفيعة جدا ، وقد استخدم السلك المعدني لهذا الغرض في أغلب الأحيان (Bel, 1914, p. 31) ، نجد هذا القرميد بدون طلاء أحيانا ، ومدهونا بطلاء أخضر داكن أحيانا أخرى .

4.1.3. البلاطات الخزفية :

لقد عثر على الكثير منها في معالم تلمسان المختلفة ، وقد استخدمت أساسا في تبليط الأرضيات وتكسية الجدران ، كما استخدمت في تزيين المداخل وأبدان المآذن ، ويقول مارسيه أن زخارف بعض هذه البلاطات نفذت بطريقة الطابع ، ثم زينت بطلاء متعدد الألوان ، وتوجد نماذج من هذه البلاطات بكل من ضريح سيدي بومدين ، جامع وقصر المشور، ضريح وجامع سيدي إبراهيم (Marçais, 1903, pp. 83, 84) ، ومن أشكالها الشائعة نجد بلاطات مربعة الشكل صغيرة الحجم ضلعها حوالي 08 سم ، أما عن الألوان المستخدمة في تزيينها فهي : الأبيض ، الأسود ، الأزرق الفاتح ، الأخضر الفاتح والغامق والأحمر الأجري ، وقد كانت تتركب هذه البلاطات بطريقة قطرية تفصل بينها نجوم مثمثة وبلاطات صغيرة مستطيلة الشكل ، كما نجد أشكالا أخرى عبارة عن أطباق نجمية مثمثة مثلثات متساوية الساقين .

5.1.3. الفسيفساء الخزفية :

تعد من أهم وأجمل استخدامات الخزف بالمنشآت التلمسانية ، وقد كان استخدامها خارجيا في أغلب الأحيان ونادرا ما استخدمت داخليا ، ويبدو أن ذلك جاء متأخرا لكن توجد بعض النماذج من المشور والمدرسة التاشفينية ، كما أنها استخدمت في الغالب لتكسية أجزاء من الجدران و قلما استخدمت لتبليط الأرضيات كما في قصر المنصورة والقصر الصغير بالعباد وقصر المشور (Marçais, 1903, p. 83).

أما عن طريقة صنع الفسيفساء فهي تتشكل من عدد كبير من القطع الفخارية الصغيرة تصنع عن طريق القالب وتسوى في الأفران ثم تدهن بطلاء براق بألوان مختلفة ، وتسوى في الأفران ثانية ، بعد ذلك يتم تقويم هذه القطع من جديد بأداة حادة ، ثم توضع مقلوبة حسب تخطيط دقيق وتلصق باستخدام ملاط قوي مؤلف من الجير والرماد والرمل ، وهكذا تشكل ألواح كبيرة سمكها حوالي 05 سم ترفع وتثبت على الجدار المراد تزيينه بما يشبه المسامير الكبيرة في الأطراف (Marçais, 1903, p. 83) أو على الأرض باستخدام الملاط .

6.1.3. طوابع الفخار :

ونحن نقصد بها طوابعا تستخدم لتنفيذ زخرفة على الجدران المكسوة بالحص أو الطوب عن طريق الضغط بالأيدي ، وهو شيء نادر جدا ، وقد عثر السيد ألفرد بل على واحد من هذه الطوابع ضمن بقايا الورشة المكتشفة بناحية أغادير ، وقد اعتبره أجمل المكتشفات .

إن مقاييس هذا الطابع تستبعد احتمال أن يكون لتزيين الخبز أو الحلوى والاحتمال الأقرب أنه كان يستعمل لتزيين الجدران أو الأواني الفخارية ، وهو على شكل شبهي منحرفين متصلين بقاعدتيهما الصغيرين ، ويحمل في الوجه الأول زخارف نباتية ، أما الوجه المقابل فيحمل زخارف حيوانية محورة ، عبارة عن غزالين متقابلين يحمل كل منهما غصنا متوجا ، وهذا شيء نادر جدا ، إذ لا توجد زخارف حيوانية في المعالم الإسلامية بتلمسان في أي مكان ، ويحمل هذا الطابع في أحد جانبيه كتابة لكنها ناقصة وهي : " عمل الف " ويبدو أنها كانت تحمل اسم الصانع ، وقد عثر السيد مارسيه على مثل هذا الطابع بقلعة بني حماد ، ووضعه بمتحف قسنطينة ، لكنه مختلف من حيث الشكل والأبعاد والزخارف (Bel, 1914, pp. 21-27).

2.3. المجموعة الثانية : الأواني الفخارية والخزفية

ونجد صنفين منها، صنف مصنوع بطريقة رديئة وبدائية وهو الذي تصنعه النساء في البيوت بأدوات بسيطة بدون الدولاب والفرن وباقي الأدوات المتخصصة ، وهو موجه في الأساس للاستخدام المتري ، والصنف الثاني هو الذي يصنع في الورشات المتخصصة وهو جيد غالبا وموجه للاستخدام التجاري (Bel, 1914, p. 30).

نجد من بين هذه الأواني الجرار ، الأطباق ، الأكواب ، القارورات والفوانيس بأشكال وأحجام مختلفة ، تصنع أغلبها على الدولاب وأحيانا عن طريق القالب ، منها ما هي فخارية ومنها ما هي خزفية دهنت بطلاء براق متعدد الألوان ، لكن الأواني الخزفية قليلة مقارنة بالفخارية ، وبالنسبة للفوانيس فكلها فخارية خالية من الطلاء (Bel, 1914, pp. 34, 35).

الجزء الأكبر من هذه الأواني يكون غالبا خال تماما من الزخارف ، لكن بعضها يتضمن بعض الزخارف تنفذ بطرق متعددة :
- زخارف منقوشة وتستخدم فيها أدوات بسيطة من الخشب أو المعدن ذات رؤوس مدببة .
- زخارف محزوزة ومخرمة وتستخدم فيها شفرات وأدوات حادة ، وتعتمد على تفريغ الشكل المراد زخرفته بحد ذاته فتصبح زخرفة محفورة ، أو تفريغ المساحة المحيطة بالشكل المراد زخرفته فتصبح الزخرفة بارزة ..

- زخارف مطبوعة وتنفذ عن طريق طابع يضغط عليه باليد على الطين الرطب قبل أن يجف أو يتم حرقه .
- زخارف مقولبة حيث يتخذ الإناء نفسه شكل زخرفيا وهناك بعض الأواني صنعت بشكل بعض الحيوانات مثل السلحفاة .
هذا بالنسبة للزخارف الصناعية ، أما بالنسبة للزخارف المنفذة عن طريق الطلاء ، فنجد أواني بدون أي طلاء تماما ، كما نجد أوان فخارية تحمل بعض الزخارف بالطين الملونة منفذة بالفرشاة تُرَبَّن بها الآنية بعد تسويتها في الفرن ، ونجد أيضا أوان خزفية مدهونة بطلاء براق بلون واحد أو بأكثر من لون وبطرق متعددة ، ويكون الطلاء من الخارج فقط في الغالب ، لكننا نجد أحيانا أواني مطلية

من الداخل والخارج ، وأحيانا أخرى أواني مطلية من الداخل فقط لكنها قليلة جدا مقارنة بالصنفين الأولين(لعرج، 2007 ، صفحة 117).

1.2.3. أواني خالية من الزخارف بطلاء واحد :

ونميز منها نوعين ، في النوع الأول زينت الأواني بطلاء أبيض زبدي مكون من خليط صلصالي وزجاجي لا يخفي تماما لون العجينة ، أما في النوع الثاني زينت الآنية بطلاء أخضر فاتح أو غامق ويتبع بطلاء زجاجي شفاف(لعرج، 2011، صفحة 223، 224).

2.2.3. أواني ذات زخارف بلون واحد أو متعددة الألوان :

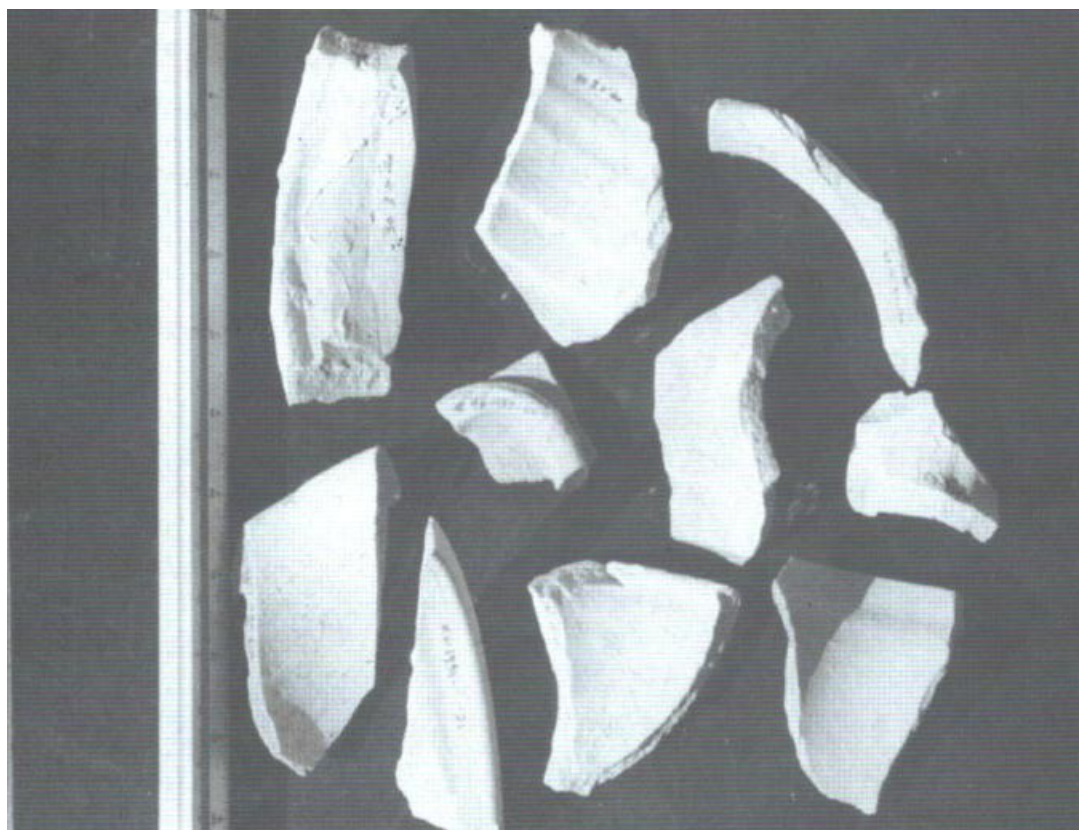
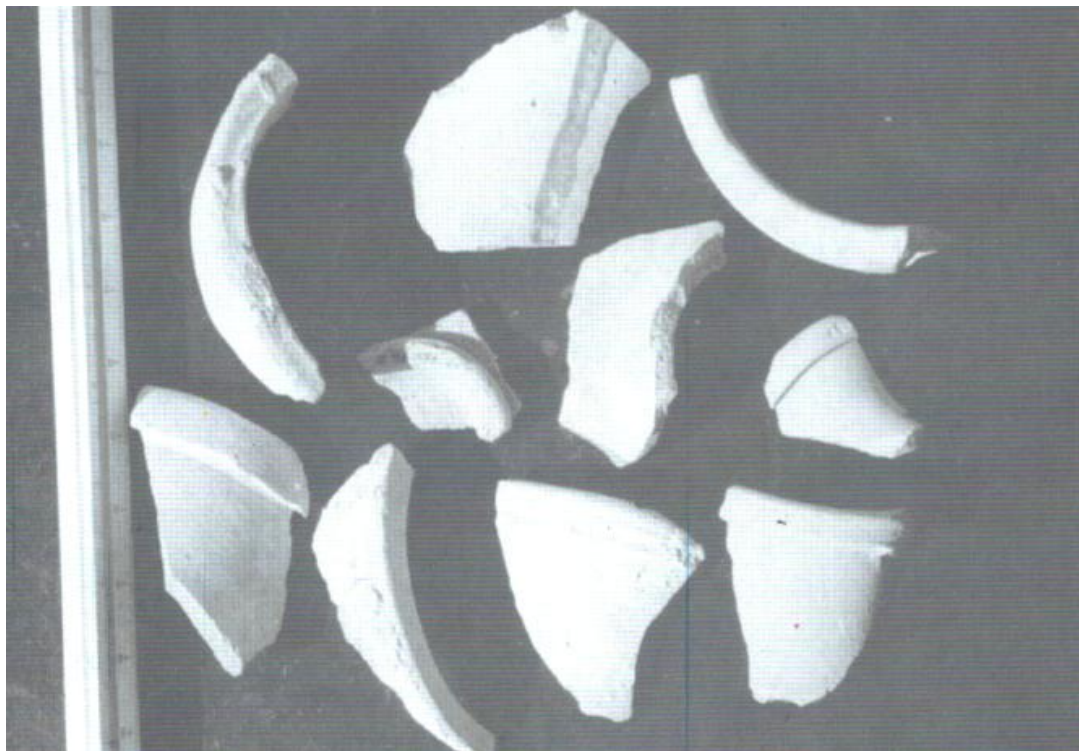
وتنفذ الزخرفة مباشرة على البطانة البيضاء التي تخفي لون العجينة الحمراء ، ونميز ثلاثة أصناف من هذا النوع :

- **الصنف الأول :** خزف ذو زخارف باللون الأزرق على أرضية من الطلاء الأبيض .
 - **الصنف الثاني :** خزف ذي زخارف بالبريق المعدني وهو اللون الأصفر الذهبي يستخدم وحده ثم يدهن بطبقة من الطلاء الزجاجي الشفاف ، أو يستخدم مع اللون الأزرق الذي تنفذ به الخطوط الكبيرة بينما يستخدم الأصفر الذهبي لملاء الفراغات .
 - **الصنف الثالث :** خزف ذو زخارف منفذة بألوان متعددة هي الأخضر ، الأزرق والأصفر .
- أما عن طبيعة الزخارف فتتقسم إلى ثلاثة أصناف :
- **زخارف نباتية :** وهي عبارة عن لفائف وسيقان متطاولة وأوراق ثلاثية الفصوص .
 - **زخارف هندسية :** قوامها الخطوط والدوائر والأطباق النجمية .
 - **زخارف كتابية :** وهي قليلة وتتمثل في بعض الكلمات بالمتعلقة بالأكل والشرب مثل كلمة " العافية " نفذت في الغالب بطريقة النسخ .

4. خاتمة :

وعموما يمكننا القول بأن صناعة الفخار والخزف كانت تعد من الصناعات المميزة بتلمسان خاصة خلال العهد الزياني ، صحيح أن منتوجاتها كانت موجهة للاستخدام المحلي غالبا ، ولكن من خلال النماذج المكتشفة في الحفريات أو المتبقية في بعض المعالم الأثرية نجد أن الفخار والخزف التلمساني بلغ درجة العالمية من حيث الجودة والإتقان ، خاصة الفسيفساء الخزفية التي تجلت فيها بوضوح عبقرية الصانع والفنان المسلم التلمساني الذي عرف كيف يزاوج بين التأثيرات الوافدة من مشرقية وأندلسية و التأثيرات المحلية المغربية الأصيلة ليبدع منتوجا تلمسانيا راقيا جمع بين الوظيفة والجمال .

5. الملاحق



ملحق 01 : قطع من أواني فخارية من حفرة المنصورة بتلمسان (لعرج، مدينة المنصورة، ص 353) .



ملحق 02 : قطع من أواني خزفية ذات بريق معدني من حفرة المنصورة بتلمسان
(لعرج، جمالية الفن، ص 316) .



ملحق 03 : أجزاء من قناة فخارية لمياه الشرب من تلمسان تعود للعهد الزياني
(المتحف العمومي الوطني للفن والتاريخ بتلمسان / تصوير الباحث) .



ملحق 04 : جرة فخارية من موقع أولا ميمون بتلمسان من العهد الزياني تظهر عليها مجموعة زخارف هندسية منها النجمة السداسية (المتحف العمومي الوطني للخط الإسلامي بتلمسان-مسجد أبي الحسن التنسي سابقا/تصوير الباحث).



25/07/2023 12:02

ملحق 05 : قطع من زليج خزفي ذي تشكيل فسيفسائي بزخارف نباتية وهندسية يعود لقلعة المشور بتلمسان من العهد الزياني (المتحف العمومي الوطني للفن والتاريخ بتلمسان / تصوير الباحث) .



ملحق 06 : قطع من زليج متعدد الأشكال والألوان من موقع المنصورة بتلمسان (لعرج، جمالية الفن، ص 319) .



ملحق 07 : بلاطة خزفية تعود لمسجد سيدي إبراهيم المصمودي بتلمسان من العهد العثماني (المتحف العمومي الوطني للفن والتاريخ بتلمسان / تصوير الباحث) .



ملحق 08 : بلاطة خزفية تعود لمسجد سيدي إبراهيم المصمودي بتلمسان من العهد العثماني (المتحف العمومي الوطني للفن والتاريخ بتلمسان / تصوير الباحث) .

- Bel, A. (1914). *un atelier de poteries et faïences aux Xe siècle découvert à Tlemcen*. Constantine, Algérie : D. Braham éditeur.
- Daly, C. (1863). *revue générale de l'architecture et des travaux publics* (Vol. 21). Paris, France .
- Marçais, W. (1903). *les monuments arabes de Tlemcen*. Paris, France : Albert fontemoing éditeur.
- Shaw, T. (1830). *voayage dans la régence d'Alger*. (M. Carthy, Trad.) Paris, France : Marlin éditeur.
- أبو العباس أحمد اليعقوبي. (د.ت). *كتاب البلدان*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- أبو القاسم سعد الله. (2007). *تاريخ الجزائر الثقافي* (المجلد 1). الجزائر: دار البصائر.
- إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر. (2001). *تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان*. القاهرة، مصر : مكتبة الثقافة الدينية.
- الحسن الوزان. (1983). *وصف إفريقيا* (الإصدار 2، المجلد 2). (محمد حجي ، محمد الأخضر، المترجمون) بيروت، لبنان : دار الغرب الإسلامي.
- عبد الرحمان ابن خلدون. (2001). *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر المسمى : تاريخ ابن خلدون* (المجلد 7). بيروت، لبنان: دار الفكر.
- عبد العزيز فيلاي. (2002). *تلمسان في العهد الزياني - دراسة سياسية ، عمرانية ، اجتماعية ، ثقافية* (المجلد 1). الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
- عبد العزيز لعرج. (2011). *مدينة المنصورة المرينية بتلمسان - دراسة في الفكر العمراني الإسلامي وتطبيقاته العملية* - (الإصدار 2). الجزائر: شركة ابن باديس للكتاب.
- عبد العزيز لعرج. (2007). *جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان*. الجزائر : دار الملكية.
- علي بن موسى ابن سعيد. (1970). *كتاب الجغرافيا* (الإصدار 1). بيروت، لبنان: منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع.
- مارمول كرنخال. (1989). *إفريقيــــــــــــا* (المجلد 2). (محمد حجي وآخرون، المترجمون) الرباط، المغرب : مطابع المعارف الجديدة، دار المعرفة.
- محمد الشريف الإدريسي. (1863). *المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس - مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*. ليدن، فرنسا: مطابع بريل.
- محمد بن عبد الله التنسي. (2007). *تاريخ بني زيان ملوك تلمسان - مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان* - . الجزائر: إصدار وزارة الثقافة.
- محمد بن عمرو الطمار. (1984). *تلمسان عبر العصور - دورها في سياسة وحضارة الجزائر* - . الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- ياقوت الحموي. (1977). *معجم البلدان* (المجلد 2). بيروت، لبنان : دار صادر.